

عنوان الدرس : محبة الآخر

كود الدرس : les\_ak\_2

الشاهد : سامي عزيز

" سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيك وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات فإنه يشرق شمسك على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين ، لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك ، وإن سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا ، فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل " ( متى 5 : 43 – 48 ) .

لسنوات كثيرة كنت أظن أن المحبة هي واحدة من الفضائل المسيحية ، ويظن الكثيرون هكذا عندما يعرفون أو يسمعون عن المحبة المسيحية ولكن عندما اختبرت المحبة الحقيقية وجدت أن المحبة هي الحياة المسيحية نفسها ، أنها الأكسجين الذي نستنشق ونحن نعيش في هذه الدنيا ، وإن كانت حياتنا الطبيعية لاتستغنى عن الأكسجين لكي نحيا ، فإن حياتنا المسيحية لا يمكن أن تستغنى عن المحبة التي هي رباط الكمال .

ولقد تكلم الكتاب المقدس عن المحبة كثيرا فقال عن أهميتها أنها " المحبة قوية كالموت " نشيد الإنشاد 8 : 6 ويقول الرسول بولس " المحبة لاتسقط أبدا النبوات ستبطل .. والعلم سيبطل أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهم المحبة " 1 كورنثوس 13 : 8 ، 13 ويقول عنها بولس في تيموثاوس الأولى 1 : 5 " وأما غاية الوصية فهي المحبة " و " المحبة هي رباط الكمال " كولوسي 3 : 14 .

فكما قال الإنجيل : إن " الله نور " ، قال : إن " الله محبة " فالمحبة هي دليل خلاصنا " أيها الأحباء فليحب بعضنا بعضا لأن المحبة هي من الله ، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله ، ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة " 1 يوحنا 4 : 7 ، 8 ، ومن أهم الأشياء التي تكلم عنها الله ، هي محبة الآخر فقال : " حبوا أعداءكم " ( متى 5 : 44 ) " تحب قريبك كنفسك " لاويين 19 : 18 " لنحب بعضنا بعضا " .

سنجد العديد من الآيات التي تحث على محبة الآخر ، ليس مهم من يكون ، ما هي لغته ، لونه ، جنسيته ، دينه .. ولكن المهم أنه إنسان فلم يحدد الله في الوصايا السابقة القريب بالمعنى الجسدي ( أى عم أو خال أو أخ أو أخت أو أم أو أب ) ولكن من حيث الطبيعة الإنسانية فكل إنسان هو قريب لي والدليل على ذلك هو عندما سئل المسيح : " من هو قريبي ؟ " فإنه أجاب بمثل السامري الصالح ( لوقا 10 ) إن هذا السامري لم يكن شخصا متميزا ، إنه لم يفعل أكثر من إطاعة الوصية الموجودة في العهد القديم " تحب قريبك كنفسك " لقد ترك بعض النقود كي يدفع تكاليف اعتناء صاحب الفندق بهذا الإنسان .

أننا اليوم نمر على الناس الذين يعانون في الحياة ولانفعل شيئا سوى أن نذهب إلى بيوتنا ونتحدث عن هذه المعاناة فقط ولكننا لا نفعل شيئا لهم ، لذلك يجب أن نخرج بتطبيق محدد عندما نتحدث عن المحبة ونطبقها في حياتنا .

كان عندنا سيدة متقدمة في السن ، كانت هذه السيدة تتوق أن تخدم الله ، وفي يوم من الأيام وضع الله لها هذه النوعية من المحبة – محبة القريب – وكان أمام مسكنها منزلا معروضا للايجار ، وعندما استأجرته عائلة وجاءت وسكنت فيه ، كانت هذه السيدة جاهزة ، فذهبت إليهم ومعها القهوة وبعض الأطعمة وقالت لهم : " لقد أحضرت لكم شيئا ما لكي تأكلوا ، لأننى أعلم أنكم مشغولين ، وأنكم حضرتم توا وليس لديكم شيئا جاهزاً للأكل ، سوف احضر لكى أخذ الأطباق .. لا تتعبوا أنفسكم وتغسلوها لأننى أعلم إنكم مشغولون .

وبعد فترة ذهبت إليهم لكى تأخذ الأطباق وقالت لهم " إذا كنتم تريدون أى شئ آخر فأنا مستعدة لإحضار ما تريدونه سوف أكون مسرورة عندما أقدم لكم أى عون أو مساعدة ، هكذا فإنها لم تعظهم عن المسيح ، ولكن بعد شهور فإن العائلة تعمدت بسبب المحبة التى أظهرتها لهم ، لقد قال المسيح : " فليضى نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات " متى 5 : 16 . لايد أن ندرک أننا أصبحنا " مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلک فيها " أفسس 2 : 10 .

من المهم أن يواكب الحب بعض الشعور ، ولكن الحب نفسه ليس بشعور كى لا يكون عرضه لتقلبات كثيرة ، إن الحب قرار والتزام ، وأنا مدعو كمسيحى إلى أن احب جميع الناس ، وهذا يعنى أنه على أن احترم كل شخص ألتقى به ، فينمو ويحقق السعادة التى يبحث عنها .

لقد قال سقراط : " إن حياة لاتفحص لاتستحق أن تعاش " لذلك لايد دائما أن اسأل نفسى هل أنا على استعداد لأن ابذل حياتى فى سبيل شخص أو قضية ، لقد قال المسيح " ليس لأحد محبة أعظم من هذه : أن يبذل أحد حياته فدى أحبائه " يوحنا 15 : 13 .

إن الميزان الذى لا يخطئ فى قياس الحب هو نسيان الذات فى سبيل الآخر ، ولنسأل انفسنا بصدق لا عما يمكن أن يقدم لنا ، بل فقط عما نستطيع نحن أن نقدم للآخرين ؟ إذا كنا نريد حقيقة أن نحب ، فيجب أن نطرح مثل تلك الأسئلة على ذاتنا .

أن نصرف حياتنا فى مساعدة الآخرين على تحقيق ذواتهم والعيش بسعادة ، هذا هو معنى الحب عندما نقرر أن نحب وننسى ذاتنا نبلغ سعادتنا وهذا يأتى كالنسيم الذى لا يرى ، فكأنه سر أشبه بنعمة الله ، لانحس فيه ساعة يأتى ، ولكننا نتعرف إليه فى ذاتنا ، ويشهد الآخرون لوجوده فىنا ، ( أنى اشعر بأن القدرة على الاهتمام بالآخر هى التى تضى على الحياة معناها العميق ) جان بول .

لقد قال يوحنا فى رسالته الأولى " إن قال أحد إنى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يجب الله الذى لم يبصره " ( 1 يوحنا 4 : 20 ) .

ولقد قال علماء النفس أن الأشخاص الذين تنقصهم القدرة على خلق علاقات حب حقيقية ، هم عرضة للأمراض المزمنة ، عشر مرات أكثر من سواهم ، فمحبة الآخر الغير مشروطة أيضا هى حرية لى وشفاء لقد تكلم عن ذلك ( خوان ارياس ) وقال :

أنا حر إذا كنت أحسن بذل ذاتى فى سبيل الآخرين دون أن يكون الشرط امتلاكهم .

أنا حر إن كانت شريعتى الوحيدة هى المحبة .

أنا حر ساعة أحسن النظر إلى عيني قريبي ، فأرى فيها نضارة أولى نظرات الخالق .

أنا حر أن كان الحب وحده القادر على تقييدى .

وبعبارات أخرى إذا كنت لا تريد أن تخرج من ذاتك وتتخلص من أنانيتك .

أن تتعلم كيف تهتم ، بل كيف تتكسر بصدق للاهتمام بشخص آخر .

إن تدرك كيف يجب أن تستمع بدقة إلى ما يقال وإلى ما لا يمكن للآخر أن يقول .

أن تؤجل الاستمتاع بما تريد كي تتمكن من الاستجابة لحاجات شخص آخر .

أن تتصل بعمق أعماق مشاعرك وأفكارك .

أن تشرك الآخر في عمق ذاتك كفعل حب .

أن تتقبل رد الفعل من شخص تعرف إليك بعمق من خلال انفتاحك عليه .

أن تتخلى عن ميزاتك وتكون على استعداد أن تعطى مائة بالمائة ، إذا كنت لاتجيد تلك الأمور ، فأنت ترفض الحب .

إن تحديات علاقة الحب الحقيقي للآخر تلك هي التي تداهم أنانيتنا ، هي في الحقيقة الجسر الذي عليه نعبر إلى النضج البشرى والاكتمال الإنسانى .

قد نستطيع عن ظهر قلب أن نتعلم الدفاع عن أية حقيقة مسيحية ، ونتمرس على هذا الدفاع دون أن نترك أثرا في أحد ، ولكن الحال ليس هكذا في الدفاع عن معنى الحب ، فالحب في طبيعته يبحث عن خير الآخر وهو على استعداد أن يدفع ذاته ثمنا باهظا في سبيل نمو الآخر إنه من النوع الذى يصعب تقليده أو تزويره .

ولكى يتمكن الإنسان من أن يحب ، يجب أن يكون عنده دافع قوى في عالم جشع يبحث دوما كيف يغرف المال ويجمع الخيرات من هذه الدنيا بأى ثمن ، على المسيحي أن يبرز كنسمة عطرة تعصف في الاتجاه المخالف فالحب يبقى دائما أقوى حجة في يد المسيحي ، وأسطع نور يشهد به أمام العالم للرجاء الذى فيه ، إن هذا صعب جدا ، ولكن المسيح يقف معنا فيصبح ذلك ضرورة حتمية : " بهذا يعرف الناس أنكم تلاميذى ، إذا احب بعضكم بعضا " يوحنا 13 : 35 .